مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

نزعة الانتماء في "مساكين يعملون في البحر" للشاعر عبد الرحمن مقلد (من الفطرة إلي الدلالة)

د. صابر عكاشة قليعي علي
مدرس البلاغة والنقد الأدبي
كلية الآداب – جامعة العريش

DOI: 10.21608/qarts.2024.302447.2006

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٣) العدد (٦٤) يوليو ٢٠٢٤
الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X
الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X
موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

نزعة الانتماء في "مساكين يعملون في البحر"
للشاعر عبد الرحمن مقلد
(من الفطرة إلي الدلالة)

الملخص:

يحاول هذا البحث التعامل مع نصـــوص الشـــاعر عبد الرحمن مقلد في ديوانه " مساكين يعمون في البحر" من زاوية الانتماء، مستخدماً المنهج الموضوعاتي للوصول إلي الفكرة المحورية في الديوان، والروح الشاعرة المهيمنة علي إبداع الشاعر، عبر رصد دلائل بلاغية ومعجمية شكلت نسيج النص الشعري في الديوان، كما حاول البحث من خلال دراسة الثيمات الأساسية في الديوان رصد أهم المحاور التي تحكمت في البني المضمونية في الديوان ، حيث أظهر البحث عبر التجميع المعجمي والإحصاء الدلالي للقيم والسمات المهيمنة علي الشاعر أنه صاحب هم، خاضع ومتأثر ببيئته، يعيش معها وبها ولها.

فقد وفرت بيئة الشاعر رؤية شعرية خاصة عبر محاور متشعبة من مواقف وأحداث حياتية، فجرت الطاقات الإبداعية عند الشاعر؛ فجاءت قصائده محملة بتلك الأحداث والمواقف ومعبرة عنها بصورة يبدو فيها الخوف من الحاضر والقلق المستقبلي.

كما جاءت التجربة الشعرية عبر الثيمات المشكلة لها كاشفة لحالة الاشتياق للجزور، في صراع الشاعر مع المتغيرات الحياتية والثورات الفكرية المؤثرة في الفئات المختلفة من البيئات الساحلية وغيرها فكانت معبرة عن تطلعات تلك البيئات لمستقبل أرحب عبر العودة للبساطة والفطرة.

كما تجلت تجربة الشاعر متمحورة حول شاعر متيم بالحرية، يبحث عن عالم يعشقه، متخذاً من طبيعته الساحلية أداة لهدهدة الروح، ومحاولة للعيش في مجتمع يصارع الممكنات الجمالية لقتلها، عبر القهر والتهميش الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: انتماء، مقلد، مساكين، البحر.

مقدمة:

لا شك أن الشاعر من أكثر الفئات شعوراً بأهمية الكلمة، إضافة إلي شعوره بالمسئولية تجاه مجتمعه، ودورة في التعبير عن الطبقات المختلفة منه، خاصة إذا كان المبدع نفسه من هذه الطبقات التي تتعرض عبر مسيرتها الحياتية، للضغط والمعاناة وشظف العيش، من أجل محاولة حياة بسيطة.

فالشاعر يحتضن هموم المواطن البسيط ومنها وبها ينطلق نحو إثراء تجربته الشعرية، مذكياً فيها قيم الكفاح والصبر والكدح والأمل؛ محاولاً الإعلان عن بشائر قد تدخل السرور علي المتلقي، وتنطلق به نحو مساحة من التعايش مع واقع فعلي، فالمبدع يعزز قيم الوطنية والإنسانية، ويعلن ثورته علي الظلم والقبح والاضطهاد، في انحياز للبسطاء والفقراء، ومحاولة للتنوير ضد الاستغلال، ولذا تجي التجربة الشعرية في بعض جوانبها؛ كاشفة الفساد والاستغلال والقبح بجانب المتعة الفنية والتي تبعث الأمل والتنوير.

إن تجربة الشاعر عبد الرحمن مقلد في ديوانه مساكين يعملون في البحر، بداية من العتبات النصية، كالعنوان وعتبة الإهداء إلي الزوجة والأبناء، وعتبة الاستهلال بالآية القرآنية ٧٩ من سورة الكهف" أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا"، ومقولة أبو يزيد البساطي" قالوا إن سبعة آلاف من السنين قد مضت ولكن النرجس لا يزال غضاً طرياً لم يصل إليه كف أي أمل بعد" ومقولة يانيس ريتسوس في مسيرة المحيط ت. رفعت سلام " صيادون عاجزون لم يعد لديهم قوارب، لم يعد لديهم شباك يجلسون علي الصخرة ويدخنون غلاييهم يتأملون أحزان الترحال والظل.." ومن اعتراف منتصف الليل لجورج ديهامل ت. شكري عياد " وأنا كما تري أقرب إلي الطول والتحول وقد قوست ظهري مهنة الكتابة واحتقار الرياضة البدنية وأقف بشيء من الميل. كما تقول أمي وأنا جالس القرفصاء علي كرسي الذي لا

مسند له أحس أن كل نقص في مظهري العادي يزداد شناعة: فأنا أتداعي وأنكمش، وكأن حياتي تهرب وتغادرني لتذهب مع حياة اولئك الرجال والنساء الذين أشاطرهم بفكري وقائعهم الغريبة"

كل هذه العتبات تشير إلي أننا أمام تجربة إبداعية لشاعر يحتضن هموم المواطن البسيط، بأحلامه المتواضعة وأخلاقياته وفطرته وأعرافه المتوارثة تنطلق منه وبه، معبرة عنه، منطلقة به نحو مساحة من التعايش، ومذكية قيم عديدة كالصبر والكفاح والكدح والأمل، ومعلنة في الوقت ذاته بشائر لفرح القادم.

فهي تجربة حياتية تعلن ارتباط المبدع بمجتمعه، وانعكاس هموم ومعاناة الطبقات الكادحة علي إبداع الشاعر. وهو ما يجعلنا نذهب إلي أن الشاعر في هذا الديوان يحمل الفكر الرومانتيكي والذي تمثلت خلاصته" بشكل عام في ثورته علي المواضعات الاجتماعية والخلقية والفكرية التي كانت الكلاسيكية تعبيراً عنها، وذلك أن كل شيء كان يمثل في نظر الرومانتيكيين علامة استفهام كبري عليهم أن يجدوا الإجابة عنها، ولم تكن غير هدم كل ما هو طفيلي في المجتمع: الأرستقراطية النبيلة، الأخلاق الفاسدة، الظلم الاجتماعي وبذلك يسروا الطريق أمام الطبقة الوسطي التي بدأت تغير المسافات الاجتماعية""[١]

والبحث يجاول عبر المقاربة الموضوعية التعامل مع ديوان الشاعر عبد الرحمن مقلد مساكين يعملون في البحر من زاوية الانتماء، انتماء الشاعر إلي بلدته دمياط، وإلي الطبقات المهمشة من المجتمع الذي يعيش فيه، لينفث في قضاياهم ويعبر عنها بإبداعه

([١]) محمد فتوح أحمد ، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف،ط٣، ١٩٨٤م، ص١٨.

المتميز؛ ليصل صوته إلي المتلقي حاملاً صرخات المعاناة في تركيبة إبداعية تنم عن خبرة عميقة موسيقية الصوت منوعة الألوان ومحكمة النسج.

أسباب اختيار البحث:

من أهم الأســـباب التي دفعتني لاختيار البحث من خلال قراءة إنتاج عبد الرحمن مقلد الإبداعي أن الشـاعر صـاحب هم وصـاحب قضـية، يهتم بالضـعفاء والمهمشين ويحاول إيصال معاناتهم وقضاياهم للمتلقي بأسلوب فني ممتع ومفيد ، كما أن إنتاج الشـاعر لم يحظ بدراسـات أكاديمية بالرغم من أن الشـاعر له العديد من الدواوين المطبوعة ومنها:

- نشـيد للحفاظ علي البطء، عام ٢٠١١م عن الهيئة العامة لقصـور الثقافة- مصر،١١٠صفحة.
- مساكين يعملون في البحر، عام ٢٠١٦م عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٠ صفحة.
- عواء مصحح اللغة، منشورات الربيع،٢٠٢٠م ، منشورات الربيع ١٠٦ صفحة.
- بوينج سي ١٧ ليست شجرة، صدر حديثاً عن دار نشر المثقف، ١٣٢صفحة.
- وديوان يحمل عنوان " رأي وتكلم" عن دار المحرر، وقد حصـل الشـاعر علي جائزة الدولة التشجيعية٢٠١٨م عن ديوانه مساكين يعملون في البحر، وجائزة هيئة قصور الثقافة ٢٠١١م عن ديوان نشيد للحفاظ علي البطء، وجائزة المكتب الثقافي المصري في باريس لأفضل قصيدة عربية، وبالرغم من ذلك لم يحظ هذا الإنتاج سوي بدراسة واحدة للشاعر عبد النبي عبادي بعنوان "شعر المساكين مقاربة ثقافية في شعر عبد الرحمن مقلد" للعام ٢٠٢٢م عن دار ميتا بوك للطباعة والنشر.

نحن أمام شاعر يتمتع بخصائص جمالة وفكرية مع قدرة علي توظيف أدوات البيئة المحيطة به في نصوصه الشعرية ببراعة تتجذب المتلقي، كما أن نشأة الشاعر في بيئة ساحلية، حيث التقاء النهر والبحيرة والبحر المتوسط في مدينته دمياط، ساهم بشكل كبير مع الموهبة المتقدة في تشكيل رؤية الشاعر وثراء موضوعاته وتنوعها.

ومن هذه النقطة يحاول البحث التركيز علي نزعة الانتماء بالتحليل والعرض، وكيف أثرت علي إنتاج الشاعر في هذا الديوان، وعبر استعراض التيمات الأساسية في الديوان يحاول البحث الإجابة عن مجموعة أسئلة:

- كيف أثر انتماء الشاعر للبيئة الساحلية علي موضوعات الديوان وعلي اختيار العنوان؟
- هل امتزج صوت الشاعر مع صوت الناس، في الوصول إلي الدلالات المتعددة، وهل أثر ذلك علي أداء الشاعر الفني؟
- هل عكست رؤية الشاعر للصراع بين الطبقات المهمشة والسلطة، وهل عبرت عن همومهم بأسلوب فني ممتع ومفيد.
- كيف امتزجت روح الانتماء مع رؤية الشاعر للوصول إلي الدلالات المتعددة في الديوان.
- هل نجح الديوان في إيصال رؤية الشاعر وما يتخللها من إشارات إلي المتلقي؟

وقد اعتمد البحث للإجابة عن هذه الأسئلة علي خطة من تمهيد ومبحثين وخاتمة.

- التمهيد وفيه تعريف بالانتماء لغة واصطلاحاً وعلاقتها بالنصوص الإبداعية.

المبحث الأول: ركائز الانتماء في الديوان

المبحث الثاني : المحاور الدلالية للتيمات الأساسية في الديوان

- جماليات توظيف الركائز والتيمات في نصوص الديوان.

ثم تأتي بعد ذلك الخاتمة لعرض ما توصلت إليه الدراسة، ورصد مصادر ومراجع الدراسة.

وقد اعتمدت الدراسة في منهجها علي المقاربة الموضوعاتية، ١) والتي تعد من أهم المقاربات النقدية للتعامل مع النص الأدبي، وذلك باستقراء التيمات الأساسية في الديوان وتحديد محاورها الدلالية عبر التجميع المعجمي والإحصائي لهذه التيمات لمعرفة مدي تأثير نزعة الانتماء في نصوص الشاعر الإبداعية في الديوان.

أولاً: تعريف الانتماء لغة واصطلاحاً:

قال الأصمعي: التنمية من قولك نميت الحديث أنميته تنمية بأن تبلغ هذا عن هذا علي وجه الإفساد والنميمة، وهذه مذمومة والأولي محمودة، قال: والعرب تفرق بين نميت مخففا وبين نميت مشددا بما وصفت، قال ولا اختلاف بين أهل اللغة فيه . قال الجوهري: وتقول نميت الحديث إلي غيري نميا إذا أسندته ورفعته وقول ساعدة بن جؤبة : فبيناهم يتابعون لينتموا بقذف نياف مستقل صخورها أراد: ليصعدوا إلي ذلك القذف. ونميته إلي أبيه نمياً ونمياً وأنمينه: عزوته ونسبته. وانتمي هو إليه: انتسب...

ويقال انتمي فلان إلي فلان إذا ارتفع إليه في النسب ونما جده إذا رفع إليه نسبه . ٢)

---

(١) للمزيد حول النقد الموضوعاتي انظر . سعيد علوش ، النقد الموضوعاتي، شركة آبل للنشر والتوزيع، الرباط ،ط١ ، ١٩٨٩م،عبد الكريم حسن، نقد المنهج الموضوعي، مجلة الفكر العربي ، بيروت ،لبنان، عدد ٤٤، ٤٥.

(٢) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، ج١٥، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص٣٤٢.

وفي القاموس المحيط ورد لفظ نما ينمو نمواً: زاد، و–الخضـــاب: ازداد حمرة وســواداً ى: كنمي ينمي نمياً ونُمياً ونماءً ونمية، وأنمي ونمي، و–النار: رفعها، وأشــبع وقودها. ١)

فالانتماء يعد انتساب إلي شيء ما، وارتباط بهذا الشيء.

وفي الاصطلاح:

الانتماء هو الارتباط الحقيقي ، والاتصال المباشر مع أمر معين تختلف طبيعته بناءً علي الطريقة التي يتعامل فيها الفرد معه، ويعرف أيضـــاً بأنه التمســـك، والثقة بعنصـــر من عناصـــر البيئة المحيطة بالأفراد، والمحافظة علي الارتباط به وجدانياً، وفكرياً ومعنوياً وواقعياً مما يدل علي قوة الصـــلة التي تربط بين الفرد والشـــيء الذي ينتمي إليه سواء أكان انتماؤه لوطنه أو عائلته أو عمله أو غيرهم. ٢)

والانتماء بهذا المفهوم وبأقســامه المختلفة من انتماء وطني وديني وفكري، يعزز من قيم الروابط الاجتماعية، وحينما يمتزج هذا الانتماء بروح الفنان والمبدع والشــاعر، وحينما يتعلق المبدع ببيئة معينة نشــأة وارتباطاً وتعاطفاً، حيث يســاهم ذلك في زيادة التعاطف بين المبدع ومجتمعه وإعلاء القيم والأخلاقيات والمبادئ التي تســود في هذا المجتمع وانعكاس كل ذلك علي الإبداعات الفنية في هذا المجتمع في وعرض لأهم القضـــايا والتجارب والبطولات المختلفة. والبحث يحاول رصـــد كل الرموز الموحية والكلمات المفاتيح والعلامات اللغوية والصـــور الملحة البارزة وقراءتها من ناحية

---

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، تح : محمد العر قوسي ، ط٨، ٢٠٠٥ص١٢٣٢.

(٢) مجد خضر، مفهوم الانتماء، ابريل، ٢٠١٦م، الشبكة العنكبوتية.

الإحصـــاء والتأويل؛ لمعرفة مدي علاقة الانتماء وتأثيره في إبداع الشـــاعر في ديوانه مساكين يعملون في البحر.

المبحث الأول: ركائز الانتماء في الديوان

يضـم الديوان ثماني عشـرة قصـيدة من الشـعر الحر تتنوع بين الطول والقصـر، متمثلة روح العصـر الذي يعيش فيه الشـاعر ، بلغة سـهلة وجزلة في نفس الوقت، كما جاءت الموضـوعات في الديوان في اتجاه الانتصـار للطبقات البسـيطة والمهمشـة في صـراعها مع السلطة ومع الحياة، والروح الانسـانية المتأملة للطبيعة والكون ، يؤكد ذلك عتبة الغلاف وعتبة العنوان وعتبة الاهداء وعتبة المدخل، مما يشير إلي أننا أمام ديوان تحمل قصائده وشاح الانتماء لبيئة الشاعر الساحلية بما فيها من طبيعة ساحرة ، وهموم وأصوات راغبة فيمن يعبر عنها ويتمثلها.

والشـــاعر عبد الرحمن مقلد من مواليد محافظة دمياط الســـاحلية، عام ١٩٨٦م، وهو شـــاعر وصـــحفي مصـــري صـــاحب رؤية متميزة ، قدم – وما يزال يقدم – للحياة ألأدبية خمســـــة دواوين شـــــعرية، محاولاً البحث عن القيم المفقودة في المجتمع، مع احتفاظه بقيم البيئة التي تربي ونشـأ عليه، كما أن الشـاعر يسـتلهم ويسـتفيد من تجارب السابقين الشعرية؛ ليصيغ تجربته الشخصية في امتزاج للروح والجسد معاً.

أولاً ركيزة الوفاء:

من أهم الركائز في ديوان الشاعر عبد الرحمن مقلد الركيزة النفسية وركيزة الوفاء. فالشـاعر يتمتع بروح تنتصـر للضـعيف، وتعبر عن الفقير والجائع والمهزوم، كما تري بعين المهمشين، ولا تكتفي بالصمت والشكاية، وإنما تتمثل الناس في مواقفهم العصيبة، وهي إحدى تجليات الانتماء، فالشـــاعر يتألم ويدخل في حالة نفســـية، تتمثل في عدم

الراحة من أحوال مجتمع يضـــغط بقوة علي الفقراء والمهمشـــين، وهو ملمح من ملامح الرومانتيكيين "فلم يكن الرومانتيكي عادة بالمرح ولا بالمتفائل، وإنما كان فريسة ألم مرير بسبب الجفوة التي بينه وبين مجتمع لا يقدر ما فيه من نبل الإحساس"[١].

في محاولة من الشـــاعر لإيصـــال أصـــوات هؤلاء الفئات إلي المتلقي ليس فقط للتعاطف؛ وإنما لمحاولة التغيير المجتمعي والانتصار للعدالة والعيش الكريم.

فجاءت المجموعة الشـــعرية مســـاكين يعملون في البحر، ليســـت فقط في قالب الشـــكوى والحنين والحزن، وإنما تتطلع وتتكلم وتبرز المواقف المختلفة وتتمثل المجتمع الذي ينتمي إليه الشاعر في نزعة وفائية منه.

يبدو ذلك في قول الشاعر في "يعملون في البحر" :

في الحقيقة

لم نكترث للملوك

ولا للعبيد

ونعمل في البحر

منذ قديم..

ولا نتمنى نهاراً يضئ

ولا منزلاً نستقر به

فالسكينة تحملنا

---

(١) محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، ص٥٠.

كل ليل طويل إلي كهفنا

في البياض

ولا نتمرس في الصيد

أو نتبارز من أجل سردينة

أو محار

لنا الجوع متسع

والشراب سيكفي الجميع

ومن حظنا أنا فقدنا خيالاتنا

عن نساء علي الشط

يصنعن غزلا جديداً لأنوالهن

ويبقين قمصاننا في الأسرة

تحمي روائحنا

ولا نتذكر أبناءنا

في البراري يلوحون

أو يهدمون بيوتاً من الرمل

في اليابس الضحل

يبكون للبحر حتى نعود.. [١].

ففي اتجاه الشـــاعر الي نزعة الروح العالية وإلي الإحســـاس بالحرية يخاطب بروح الجماعة، التي تتخذ من السماء غطاءً ومن الأرض متسعاً ، وتحمل نفساً آمنة علي رزقها ، لا تخشـــي شـــيئاً، لا تكترث لجوع ولا تتقاتل من أجل لقمة عيش، حتي الخيالات تكاد تنعدم إلا في حدود النفس الصـــافي والحرية الطبيعية، فلا تشـــغل بالهم الخيالات الرومانسية والعواطف الجياشة . فالشاعر لم يتجه في خطابه إلي البحر ولا إلي الليل ولا إلي الســـماء بكواكبها ونجومها وأقمارها ليتغزل فيها مثلما يفعل الرومانسيون، بالرغم من أن معظم الشعراء يلجئون إلي هذه الأجواء الرومانسية لتفريغ طاقاتهم السلبية، وبث همومهم الرومانسية في هذه الطبيعة الخلابة، لكن الشاعر هنا يتناول قضايا فئات ينتمي هو إليهم ليتخذ من الطبيعة التي نشأ وتربي فيها أداة وخطاب موجة في لهجة من يقف علي أقدام ثابتة للمناداة بالعيش الكريم والحرية الفطرية.

إن هذه الفئات التي تعيش شظف الحياة ومرارة العيش في إباء وكبرياء من يؤمن بالحرية والكرامة الإنسانية؛ لتستحق من المبدع أن يمزج صوته في صوتها، وأن يتمثلها ليدق ناقوس الخطر من تجاهل مطالب هذه الفئات. في مفارقات طبقية عجيبة، فآلام البسطاء تؤلمه ومشاكلهم تؤرقه، يشعر بهم ويحزن حين يسمع عن مصائبهم في حين لا يكترث أحد به ولا يشعرون به كما يشعر بهم .

يقول في قصيدته " أنا مثلكم أتألم" :

يراقبهم سعداء

---

(١) عبد الرحمن مقلد، مساكين يعملون في البحر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م، ص١٢-١٣.

يدقون أوتادهم

وكلاب الحراسة تتبعهم أينما يذهبون

يري الطير يشرب من مائهم

والنبات..

الجميلات يرقصن في الفجر..

...

أنا مثلكم لا أزال أرفق عيني بالدمع..

أو أنحني

حين تقبض عشرون روحاً

بضربة حظ

وأحزن حين يموت من الاختناق

مريضو التنفس

أنحب حين يودع خمسون طفلا

حقائبهم تحت القطار

وأهرب في خندق

حين تقصف طائرة في العراء جنوداً

وأصرخ والبيت يهوي علي قاطنيه

ويسقط بعض ضحاياي في البئر[١].

فالجفوة بين الرجل والمجتمع الذي يعقد عليه الأمل ظاهرة ، والبون الشاسع بين الطبقات يتربع في عينية، بالرغم من ذلك كله يظل وفياً لهذا المجتمع يشعر به ويتأثر بأحداثه.

فالمفارقة تبدو من كون البعض سبباً لإنهاء حياة البعض، وتستمر حياتهم بكل الهناء والمباهج في حالة من اللامبالاة والتجاهل فالشعور الإنساني تجاه حياة تباد يكاد ينعدم، وهو ما يعد صرخة من الشاعر لإيقاظ الضمير الإنساني.

فالروح الشاعرية المسالمة لدي الشاعر تتسم بالوفاء والحب للإنسانية ، كما تبدو روح التسامح في العديد من قصائد الديوان، وإن أبدى البعض إساءة ومفردات الوفاء والتسامح جلية في معظم ابيات الديوان.

يقول في قصيدة موعظة الرحلة:

نحن نسافر في الأرض

رحالة فقراء..

نصلي ليتركنا الحظ

حتي نعود لأعشاشنا..

وندقق في أوجه الأهل..

نحفظ أسماء أبنائنا جيداً..

---

(١) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٢٩-٣٢.

لا تخلي لنا المهن اليدوية أية ذاكرة.. [١]

فالشاعر بانتمائه لهذه الفئات وإحساسه المرهف بمشاكلهم وهمومهم، يرسل بشفراته التي تلوح في معظم قصائد الديوان متشحة بمفردات دلالية ذات شحنات معبرة عن عيشة وطموح وتطلعات هذه الفئات، فهو ينطلق منهم وبهم بإحساس فعلي " حيث شدة المعاناة والإحساس بها تنغص عليه حياته، فالتصريح أو البوح بالأحاسيس هو نوع من التنفيس عن حرارتها الداخلية اللاسعة، وإطفاء لوقدتها المحرقة"[٢].

الركيزة النفسية:

وأنت تقرأ ديوان الشاعر "مساكين يعملون في البحر" تشعر أن الشاعر صاحب هم يتمثل أصوات الفقراء والمهمشين في تجاربه الشعرية وعبر معظم قصائد الديوان، فلا شك أن بيئة الشاعر شانها شأن العديد من البيئات المحاطة بالمنغصات والهموم، والشاعر يرى ويشعر كونه مبتلي ومحاط بهذه المشاكل، فهو يحوم في فضاء الفكر الشاعري بين الأنا الشاعرة والهو، التي تلقي بظلالها علي إبداعاته. وهو يتمثل الأنبياء في صبرهم وتحملهم أذي الحياة ومن يرون أنفسهم أوصياء علي البشر.

يقول في "موعظة الرحلة":

ونحن نطوف كرحالة فقراء..

تجمعنا النبرات السريعة..

نعمل في المدن الداخلية أسرى لنطعم أولادنا..

---

(١) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٧٢.

(٢) محمود سليمان ، الحب والغزل في الشعر السعودي المعاصر ، المجلة العربية. العدد ٥٧ السنة السادسة. أغسطس ١٩٨٢م، ص٢٤.

ونخلي النساء تموت من الشبق المتأجج

والطعنات التي تتعب الظهر..

نخرج في الحافلات. الحوانيت..

نرجو من السائقين التمهل في السير..

نرجو من الله أن تنتهي الرحلات

ونحن لذلك نحترم الأنبياء المساكين

مثل الذي في جواري

ويسعل كالفقراء الذين ينامون في العربات

ولكننا لم نعره انتباه [١]

فالشاعر يرسل بشفراته التي تلوح في معظم القصائد بمفرداتها ذات الشحنات الدلالية التي تتسم بالتحدي والجلد والصبر علي مواجهات الحياة، كما أن نزعة التفاؤل تبدو ظاهرة في نفس الشاعر حيث التحدي للمحن والمصاعب في مهام الحياة الضاغطة. فالألآم النفسية تلقي بظلالها علي كثير من قصائد الديوان.

ففي قصيدة "نور يضئ ويختفي مرثية لوالدي" :

كان يحكي لي أبي

عن صورتي في الماء تصعد:

كلما جدفت أكثر

---

(١) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٧٨.

زدت تجربة وعمراً

ثم أوصاني علي ناس البحيرة

: إنهم فقراء

يا ولدي

وفلاحون مثلي

أقرباء لنا

وكن يا بني رحيماً ب" الغلابة"

إنهم أهلي وأهك [١]

بالرغم من أن الرثاء " غرض أصيل من أعرق أغراض الشعر العربي، برزت فيه أرق الأحاسيس المبدع العربي، وأفضل صفات المرثي، فأطلت مراثي الشعراء لآلئ وضاحة، تشف عن كل راق وجميل رقي في الراثي والمرثي والمرثية نفسها" . [٢]

إلا أن الركيزة النفسية تسيطر علي مخيلة الشاعر إضافة إلي ركيزة الوفاء تحركها نزعة الانتماء والتي لا تغيب عن مخيلة الشاعر حيث يتمثلها الشاعر ومنها وبها يبدع حتي في مرثيته لوالدة، بالرغم من رفقة مشاعر الفراق والحزن ولوعة الفراق والشحنات العاطفية التي تتسم بها قصائد المراثي وتصاحبها، إلا أن الشاعر حتي في مراثيه لا تغيب عنه ركائز الحب والانتماء لأهله وبيئته الساحلية التي ينتمي إليها.

---

(١) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٨٩.

(٢) مني محمد عبدالله أبو هملاء، قصيدة الرثاء في الشعر العربي ، مجلة البحث العلمي في الآداب ، العدد العشرون ٢٠١٩م جزء ١، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، الملخص.

وبالرغم من كثرة الآلام والهموم التي تحيط بالشاعر، وتلقي بظلالها علي الديوان إلا أن القصائد تتسم برائحة التفاؤل والأمل ليس فقط في المستقبل بل في الإرادة الكونية التي تغير المصائر في لحظات.

يقول في قصيدة " ثلاث وعشرون قاطرة"

منذ ثلاث وعشرين قاطرة

لم أنم مطمئناً

ولم أتخلص من الخوف

أيتها القسمات وأيتها الأرض

لا أتغير في الحلم بل في الحقيقة

أرصدني ساعة أتربص بالنمل

أقتل واحدة لأبدل من شهوة القتل عندي

فأهدأ

أسرق نصف رغيف من الجار

أصعد نخلته

أقطف التين ثم أفر

وأسخر من عتبات الفضيلة والصدق

أكذب:

إن أبي ليس في البيت أيها الدائنون. [1]

فالشاعر تحيط به منغصات تجعله لا يتحمل المكان الذي يقطنه والهواء الذي يتنفسه، ومعاملة الناس حتي وهو يعود بذكريات اليمة ، فزميله العبقري جن حين اختفي أخاه في المياه، وهذا رجل يغيب ويترك زوجته وأبناءه، فبدا في البحث عن أرض وعن كائنات أخري يستطيع العيش معها، فالألآم النفسية تسيطر علي إبداع الشاعر، حين تحيط به وبمن يحبهم المعاناة من شظف العيش وما يحيط بهم من هموم وديون .

فالشاعر ينظر بمنظار أمل يصعب مناله، ويعزف بنغمات ضاحكة ساخرة في واقع وبيئة محاطة بالفقر، تقتل الإبداع ، وتخنق المواهب؛ فجأت أمانيه متغيره ومتفائلة في الوقت نفسه، لكنه تفاؤل في عالم الحلم فقط لا في عالم الحقيقة.

تمنيت خارج سجني

القناديل تسطع

والعثرات تقل

الصبايا يغازلن صبية أحيائهن

النباتات تنمو..

أيتها القسمات تغيرت في الحلم

لا في الحقيقة

يوجعني جانبي

يتفجر رأسي من قلة النوم

([1]) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٦٣-٦٤.

والقسوة العائلية لا تمنح الواحد

الوقت حتي يموت. [١]

ففي ظل الحالة الانهزامية التي يحياها الشاعر، من جراء ما يتعرض له من ديون وحالة من الإحباط التي تحدث في معظم البيئات حيث شظف العيش والمعاناة في العيش وكثرة الديون العائلية، والتي أدت به إلي السجن ولياليه الطويلة المؤلمة.

تأتي الأمنيات، التي تنم عن عشق الشاعر لبيئته واندماجه فيها، فالشاعر يتمتع بقلب رقيق، وإحساس مرهف، بالرغم من حالة الضبابية التي يعيشها، والضيق الذي هو فيه، والألم الجانبي من قلة النوم، فهو يتمني السعادة والرخاء وسيادة الحب في بيئته، ويلجأ إلي لغة الحبيبة بمجازاتها وجمالياتها؛ لتكون هي الأنيس والمسلي لحالة الضيق التي تنتاب الشاعر .

المبحث الثاني : المحاور الدلالية للتيمات الأساسية في الديوان

من أهم التيمات في ديوان الشـــاعر عبد الرحمن مقلد " مســـاكين يعملون في البحر"، والتي تبدو أكثر تردداً في قصـــائد الديوان، فهي تعد صـــوراً وعلامات لغوية ومفاتيح ورموز، من خلال قراءتها قراءة إحصـائية ودلالية وتأويلة يمكن أن نصـل إلي نتائج بحثية هامة، حيث يزخر الديوان بمفردات كثيرة، من أهم هذه المفردات والتي تتكرر كثيراً في قصائد الديوان وتعد تيمات أساسية :

البحر، الصـيد، سـردينة، محار، غزل، مراكب، صـيد، موانـي، صـخر، حجار، رمل، ملح، ساحل، شاطئ، نخيل، جوع، شراب، أسرة، نساء، أبناء بيوت، أطفال، هدم، ذكريات، ليل، أرواح، البقاء، رحيل، طقس، مواســم، حوت، رحيل، قلب، رئتين، غناء،

([١]) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٦٧.

سـماء، ورود، بنات، ظلال، حنان، تلال، خمول، هزيل، أرواح، أمل، شـرطي، حياة، دفء، سعادة، لحظات، أليف، حكايات، أجداث، منازل، سراب، أجساد، سنوات، شيب، وحيد، رماد، حجر، ،طير، كلاب، خوف، دمع، روح، خندق، طائر، عراء، قطار، أرض، نماء، حيوان، صحراء، نار، رمح، عشاء، شاي، آلة، برد، نعاس، أشلاء، تبغ، هواء، سيل، عذب، برد.

ويمكن حصر هذه التيمات في حقول دلالية كالاتي:

اولاً: البيئة الساحلية والصفات الدالة عليها

عند قراءة الديوان نجد أن هذا المنحى هو الأكثر دوراناً من حيث التيمات: البحر، الصيد، سردينة، محار، غزل، مراكب، صيد، مواني، صخر، حجار، رمل، ملح، ساحل، شاطئ، نخيل، حوت، طقس، مواسم، ليل، طير، مطر، سماء، غيم.

ومن ضـــمن هذه التيمات تتميز تيمة " البحر" بانفراده عن الثيمات الأخرى ذلك لكثرة شيوع التيمة في الديوان ، فهي تشكل حقلاً دلالياً يتصل بالشاعر وبيئته ، حيث يمثل الألفة الخاصـــة والعلاقة المطبوعة بالروعة والجمال ، فهو يقوم بدور المخلص الذي يتعامل مع أوجاع الشاعر ويسمو بروحه، فالروح الشاعرة هنا تجعل من البحر قدوة ، حيث يستوعب البحر كائنات مختلفة الطباع ، كما أنه يغسل الأبدان من الأدران ، في صورة المعطاء الكريم في علاقته بالناس وهي إحدى الصور الجميلة التي تمثلها الشاعر في تعاملاته مع من تربي ونشأ معهم. يقول مصوراً تعلقه بالبحر في مشهد استحضاري للعلاقة بينهما :

سوف نذهب للبحر../ نترك فيه مراكبنا الورقية/ حتي تعود لنا من موانى/ ليست تلوح مناراتها في المجال/ ولكنها تتبدى بأخيلة الصبية/ العارفين بها كالسراب/ لذا لا نخاف من البرد/ لا يأكل الملح أجسادنا/ لا يؤرقنا الشيب. [١]

فعلاقة الشاعر بالبحر علاقة خاصة ، حيث ينفرد بكثير من المقاطع الشعرية التي تصور العلاقة الحميمية بينهما، والتعلق به، حين تتحاصر الروح بالمنغصات الحياتية، ويبدو في المقاطع انعكاس غريزة الحب والانتماء للبيئة البحرية، فهو يمثل الحصن المنيع والحائط الذي تتكسر علية المخاوف. فتصاوير الشاعر الكثيرة للبحر تبدو مدهشة مستوعبة لكثير من أحلام وطموحات الشاعر وأداة من الأدوات المهمة للتغلب علي مصاعب الحياة.

ف " معظم الألفاظ ذات الدلالات الرمزية تتميز بميزة مشتركة هي كثرة الدوران والاستعمال، وذلك معناه أن بعض الألفاظ الأخرى وإن كانت كثيرة الاستعمال والدوران، تخلو من خاصية الدلالة الرمزية" [٢]

ولعل ارتباط الشاعر بالبحر ينم عن خصوصية في علاقة الشاعر ببيئته التي يخاطب البحر فيها. باثاً فيه آماله وتطلعاته ومتحدياً من خلاله الصعاب .

ونعمل في البحر / منذ قديم.. / ولا نتمنى نهاراً يضئ / ولا منزلاً نستقر به / فالسكينة تحملنا/ كل ليل طويل إلي كهفنا / في البياض/ ولا نتمرس في الصيد/ أو نتبارز من أجل سردينة /أو محار / لنا الجوع متسع / والشراب سيكفي الجميع.[٣]

---

(١) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٢٢،٢٣.

(٢)محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي، دار المعارف، ط١، ١٩٨٨م ص٥٣.

(٣) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٩٥.

فالروح الشاعرة تبدو في جدية وغرام ونشاط وحيوية حين تخاط مصدر رزقها، كما أن البحر هو الأمل لعودة الأحلام، لا يغيب عن مخيلة الشـــاعر ، وهو شـــاهد علي المواقف الحياتية المتنوعة. يقول في قصيدة أثر العابر إلي محمود درويش:

ها أنت في رحلة / لا يعود المسـافر منها / ونحن علي آخر البحر / نرجو حضـورك نشـعل أعمدة التبغ / نشـرع في حفلنا الوثني الفقير / نحادث أشـباحنا / عن نهوضـك ثانية / لتباشر ورد الحديقة / حتي يجف فترثيه. (١)

ولعل تجربة الشـاعر في تشـخيص البحر، وتفرد البحر ببعض الخصـوصـيات، وفتنة الشـاعر به جعلتنا ندرك أن البحر قريب من الشـاعر، وإن كانت هموم البسـطاء ورغبتهم في عيشـة هنية أقرب له من ذلك البحر الذي يعشـقه، والمرجح أن هذه الهموم ساحلية تأخذ دلالتها من تغيير أحوال البحر.

كما أن الشـــاعر اســـتخدم تيمات تتعلق بالبيئة الســـاحلية وعناصـــرها الجميلة وطبيعتها، وهي تيمات تفرض حضـورها في الديوان سـوآءا أكانت هذه التيما متعلقة أو مرتبطة بالبيئة وهي دالة علي ارتباط الشـــاعر وحبه لهذه البيئة ، حتي في هزائمه الغرامية يتخذ من عناصر بيئته أداة فاعلة للمواجه يقول في قصيدة" أثر العابر":

تعلمنا أن نكون محبين غير قنوعين/ أن نتفادى هزائمنا في الغرام/ بخفة صـــياد/ وأن نتشـهى حبيباتنا/ ونريق النبيذ علي رقصـهن/ وتدفعنا للصـراخ/ بأسمائهن البسيطة عبر البراري../ نذوب علي بابهن من الحب/ نكتب فوق حوائط داراتهن/ شكاوى وأشعلر قيس. (٢)

---

(١) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٢٢،٢٣.

(٢) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٩٧.

فالشاعر يستخدم تيمات الطبيعة وعناصرها في اطار تصويري يبرز فيه مدى القبح الذي يحيا فيه الكثير من المهمشين ليكون سبباً في انتقالهم إلي الدار الآخرة، فالشعراء في الغالب يتغنون بجمال الطبيعة ويتخذونها أداة للبوح بأسرار النفس الشاعرة ، لكن حضور الطبيعة بتيماتها اختلف عند شاعرنا، فلم يلتفت لقيمتها الجمالية، وإنما نظر لوجهها الآخر. يقول في "طرق متربة الهواء" إلي محمود سباق:

أعد روحك ريثما تأتي الهزائم كلها/ أعد روحك غضة وترية/ فالعازفون هنا كثير/ والموسيقي لا تزال/ اعزف بقدر الليل/ ما يكفي لهذا الضيق/ انزف لنا/ طرقاً متربة الهواء/ وحافلات من بقايا الحرب/ انزف لنا شجنية / نلتف حولك عندها/ نحن الأرامل واليتامى / والمساكين/ الذين هوى عليهم سقفهم / ناموا معاً/ متلاصقين إلي جدار / ..النائحات. [١]

فالذات الشاعرة تتجه إلي الطبيعة لتعكس نظرته للمجتمع وارتباطه بها لم يعد سوي ارتباط بالأهل والعشيرة ، فالشاعر صاحب قضية يسخر مظاهر الكون في عرض قضايا بيئته في انعكاس شعري لرؤية الطبيعة المهمومة بقضاياه.

يقول في " موعظة الرحلة":

ونحن نطوف كرحالة فقراء..

/ تجمعنا النبرات السريعة../ نعمل في المدن الداخلية أسرى لنطعم أولادنا../ ونخلي النساء تموت من الشبق المتأجج/ والطعنات. [٢]

(١) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص١٢٠-١٢١.

(٢) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٧٨.

وهنا تبدو الرؤية الشـاعرة كما وصـفها بعض الشـعراء " في مواجهة إضـمار لرفض الاستبداد والسلطوية السياسية التي قد تبدد موارد وإمكانيات المجتمعات الفقيرة المتخلفة من أجل تكريس قدرات الأفراد علي حسـاب جماعات المحكومين. فما يكون من هؤلاء المحكومين إلا أن يُمنعون في كبت رغباتهم وإخفاء مهاراتهم ومواهبهم في مجتمعات متجنية علي الملكية الخاصة والخصوصية الشخصية".[١]

ونحن نسـافر في الأرض/ رحالة فقراء../ نصـلي ليتركنا الحظ/ حتي نعود لأعشاشنا../ وندقق في أوجه الأهل../ نحفظ أسماء أبنائنا جيدا../لا تخلي لنا المهن اليدوية أية ذاكرة.. [٢]

لقد أوهمنا الشاعر وهو يرصد معاناة الطبقات المهمشة أنه يحكي عن فئة بيئية بعينها فإذا به يحكي عن فئات تمثل السواد الأعظم من مجتمعاتنا.

ثانياً: التيمات الدالة علي الشاعر

- العوز والحاجة والخوق من القادم
- التهميش والفهر الاجتماعي

من أهم التيمات والتي تبدو أكثر تردداً في هذا الحقل " ملوك، عبيد، أرواح، رصاص، دم، قتله، مراكب ، منازل، أسرة ، نساء، أمهات، أبناء، بنات، رضع، بيوت، شيوخ، حجارة، أرض، مساكن، حجارة، نهر، مصطفي، رفاق".

---

(١) عبد النبي عبادي، شعر المساكين، مقاربة ثقافية في شعر عبد الرحمن مقلد، دار ميتا بوك للطباعة، ط١، ٢٠٢٢م،ص٤٥.

(٢) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٧٢.

من يطالع ديوان الشاعر منذ العتبات النصية الأولي يشعر أن الشاعر متشبع بتيمة الفقر والحاجة ؛ وهما منبعان قويان لإبداع الشاعر في هذا الديوان وفي غيره من إبداعات الشعراء ، كما أن الخوف من القادم يمثل مصدراً من مصادر القلق للذات الشاعرة، ففي خوف من الشاعر علي مجتمعه الصغير (الأسرة) حيث يحتفي بها ، في قلق أبوي علي مصير الأجيال القادمة منذ العتبات النصية الأولي بدءاً بعتبة العنوان ، حين بدأ عنوانه باسم جمع نكرة " مساكين" مخالفاً لقواعد اللغة ، والتي تمنع البدء بالنكرات إلا في حالات ليس هذا العنوان منها.

في جملة خبرية لمبتدأ محذوف في إشارة إلي أهل بيئته" هؤلاء– هم" ليدل عي أن هؤلاء مجهولون في الأرض معروفون في السماء، وكما يذهب بعض النقاد إلي أن اختيار العنوان لم يكن ليحاكي قصة المساكين الذين يعملون في البحر أو الذين كانوا يعملون في البحر وإنما هناك" نسقاً مضمراً يحاول التخفي حتي حين وهو نسق الرفض السياسي، فالقصة القرآنية التي استل منها الشاعر جملة العنوان تبدو مصدر الهام كبير وتأويلات متشعبة لمن أراد أنُ يعمل العقل أو قرأ الشعر وهو شهيد." [١]

فالشاعر يستخدم مساكين في تناص قراني مقصود لبيئة ينتشر فيها الفقر والحاجة الشديدة، في دلالة علي القمع السياسي والقهر الاجتماعي، فالمسكين أعلي درجة من الفقير، حيث يمتلك أدوات يمكن أن تخرج به إلي دائرة الغني ، لكن هذه الأدوات مقيدة في يد السلطة تنفق منها حيث تشاء.

([١])عبد النبي عبادي، شعر المساكين مقاربة ثقافية، ص٤٤.

وحين يخصص الشاعر عتبة الإهداء لزوجته وأبنائه، فإن هذا الحقل يحوي دلالات مضمرة يأتي في مقدمتها هم الشاعر الأصغر؛ وهو الخوف علي أسرته الصغيرة، والصراع الداخلي بين الحب والأنا والخوف الأبوي.

يعضد هذه الرؤية حين يخصص الشاعر قصيدة إلي مصطفي ابنه ورفاقه، كما خصص الشاعر عدداً يتجاوز ثلث الديوان لأشخاص بعينهم، وهو ما ينقل هم الشاعر من الهم الأصغر إلي الهم الأكبر ، ويؤول الدلالات الجمالية في نصوص الشاعر تأويلاًت تصب في قضيته التي يتبناها، من منطلق انتمائه لبيئته.

فنجد في الديوان القصائد التالية:

- قصيدة " إلي الأجيال القادمة" إلي مصطفي ورفاقه.
- قصيدة " طرق متربة الهواء" إلي محمود سباق.
- قصيدة "أثر العابر" إلي محمود درويش.
- قصيدة " نوار يضيئ ويختفي" مرثية للوالد
- قصيدة " دم يغطي الوادي الأخضر" إلي مينا دانيال

فإذا ما توغلنا في هذا الحقل نجد أنه يحوى مفردات كثيرة منها ما يدل علي الخصوصية ومنها ما يدل علي المسئولية، فإذا ما حصرنا القصائد من منطلق ضمائر الخطاب فيها– ولا يتوغل البحث في تنوع صيغ الضمائر في داخل كل قصيدة فهذا يحتاج إلي بحث مستفل، وإنما فقط حصر الضمائر في مقدمة القصائد والربط بينها وبين نزعة الانتماء عند الشاعر – نجد أن قصائد الديوان تنوعت من حيث استخدام الشاعر للضمائر حيث جاءت كالاتي:

- ضمير المتكم" أنا" جاءت قصائد" الدم، ثلاث وعشرون قاطرة، موعظة الرحلة، نور يضئ ويختفي مرثية لوالدي.
- ضمير المتكلم "نحن" جاءت قصائد" يعملون في البحر، علي كل حال.
- ضمير المخاطب "أنت" جاءت قصائد" مثل فلاسفة قدماء، عدوان، أثر العابر إلي محمود درويش، طرق متربة الهواء، دم يغطي الوادي الأخضـــر إلي مينا دانيال، إلي الأجيال القادمة،
- ضـــمر الغائب "هو" جاءت قصـــائد" أنا مثلكم أتألم، خراب يملا العين ، في مديح المحبة.
- ضمير الغائب "هي" جاءت قصائد" وصايا فاتن حمامة، الأناشيد، الثورة،

فإذا ما نظرنا إلي تقسيم القصـائد في الديوان من حيث التوازن العددي نجد أن القصـائد جاءت كالاتي: (ست قصـائد بصـيغة ضـمير المتكلم، وست قصـائد بصـيغة ضـمير المخاطب، وست قصـائد بصـيغة ضـمير الغائب مقسمة ثلاث قصـائد بصـيغة المؤنث وثلاث قصـائد بصـيغة المذكر). فالشـاعر يبدو اهتمامه بالتوازن الضـميري حتي في التقسيم العددي للقصائد.

فالضـمير وإن كان من وجهة نظر الشـاعر قد مات في الأفعال عند الكثيرين ممن لا يرحمون الضعفاء ، فلا ينبغي أن يموت عند الشاعر حتي في توزيع وتقسيم قصائد الديوان؛ ليعطي ولو بصيص من الأمل في غد مشرق.

والضـمائر تعتبر من أهم وسـائل الربط في النصـوص الشـعرية كما يري بعض النقاد" فالإحالات الضـميرية هي عصـب النص الذي يغديه ويضـمن اسـتمراره، لذلك يركز الباحثون علي مدي أهمية الإحالة النصـية في صـنع الأنسـاق داخل فضـاء

النصوص الشعرية زيادة علي تعددها وتنوعها لخصوصية الرؤية والتشكيل داخل هذا الفضاء"[١]

كما تعد الضمائر " من أهم الأدوات الفنية التي يعمد إليها الشاعر ليعبر عن تجربته الشعرية لكي يضفي بعضاً من الحيوية والحركة علي الأداء الشعري، ويريد الشاعر بذلك كسر حاجز الملل والرتابة في الأداء ، فيلجأ إلي الاثارة والتشويق بتوظيف المزج الضمائري." [٢]

فقد استخدم الشاعر ضمائر المتكلم "الأنا" والتي تعد الانتماء من أبرز دلالاتها ، و"نحن" التي تعبر عن الوحدة والمصير المشترك والقوة والاتحاد، ودلات " أنت" للتحديد والتخصيص، ولتحمل المسئولية، وضمائر الغائب " هو وهي" والتي من خصائصها النمط التفسيري، الافتخار والاعتزاز والتمجيد.

هذه الضمائر ساهمت في اتساق النص وانسجامه من ناحية ومن ناحية أخري دلت علي المسئولية، فالشاعر يلجأ إلي هذه الثيمات تعبيراً عن الهم الأكبر ومحاولة لإيقاظ قضايا بيئته وهو ما يؤكد دلالة مهمة من واجبات الشاعر وهي التحامه بقضايا بيئته فإذا به يلتحم بقضايا المجتمع ، في لغة معبرة تشبه أحلامه الناحلة لهذه الطبقات والأجسام الهزيلة، والوضع المتفاقم يقول في قصيدة" يعملون في البحر" :

في الحقيقة/ لم نكترث للملوك / ولا للعبيد / ونعمل في البحر / منذ قديم.. / ولا نتمنى/ نهاراً يضئ / ولا منزلاً نستقر به / فالسكينة تحملنا / كل ليل طويل إلي كهفنا /

---

(١) مبارك البراء ، الانساق والانسجام في شعر المتنبي، الشبكة العنكبوتية.

(٢) نجوي إبراهيم عبد المنعم، بلاغة المزج الضمائري في الشعر الوطني عند الشاعر عبد الرحيم زلط، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات ،جامعة عين شمس،عدد ٢٠، جزء ٢، ٢٠١٩يوليو، ص٥٢٣، الشبكة العنكبوتية.

في البياض / ولا نتمرس في الصـــيد/ أو نتبارز من أجل ســـردينة / أو محار / لنا / الجوع متسـع /والشـراب سـيكفي الجميع/ ومن حظنا أنا فقدنا خيالاتنا/ عن نسـاء علي الشط/ يصنعن غزلا جديداً لأنوالهن / ويبقين قمصاننا في الأسرة / تحمي روائحنا / ولا نتذكر أبناءنا / في البراري يلوحون / أو يهدمون بيوتاً من الرمل / في اليابس الضـحل / يبكون للبحر حتى نعود.. [١].

يقول في "موعظة الرحلة":

ونحن نطوف كرحالة فقراء../ تجمعنا النبرات السريعة../ نعمل في المدن الداخلية أسرى لنطعم أولادنا../ ونخلي النساء تموت من الشبق المتأجج/ والطعنات التي تتعب الظهر../ نخرج في الحافلات. الحوانيت../ نرجو من السائقين التمهل في السير../ نرجو من الله أن تنتهي الرحلات / ونحن لذلك نحترم الأنبياء المساكين[٢]

يقول في قصيدة" نور يضئ ويختفي مرثية لوالدي"

ثم أوصاني علي ناس البحيرة/ : إنهم فقراء/ يا ولدي/ وفلاحون مثلي/ أقرباء لنا/ وكن يا بني رحيماُ ب" الغلابة" / إنهم أهلي وأهك [٣]

يقول في قصيدة" موعظة الرحلة"

نحن نسافر في الأرض

رحالة فقراء..

نصلي ليتركنا الحظ

([١])مساكين يعملون في البحر، سابق ص١٢-١٣.

([٢]) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٧٨.

([٣]) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٨٩.

حتي نعود لأعشاشنا..

وندقق في أوجه الأهل..

نحفظ أسماء أبنائنا جيداً..

لا تخلي لنا المهن اليدوية أية ذاكرة.. [١]

- التهميش والقهر الاجتماعي:

ففي هذا الحقل نجد مفردات كثير عبر صفحات الديوان، وهي مفردات تدل علي القهر الاجتماعي والتهميش، كما تدل أيضا علي الخصوصية والتعيين مثل مرثية الوالد، وإلي مصطفي ورفاقه.

يقول في قصيدة" نور يضئ ويختفي"

حين ولدت في إبريل/ في بدء الربيع/ وموسم البرسيم/ وقلت: إني لم يقيدني أبي/ في دفتر الأحوال إلا بعد ميلادي / بخمسة سنين/ لا تثقوا إذا في حدسكم/ أو في سجلات الحكومة[٢]

صدقونى أنى أصبت بدورة البلهارسيا/ وسقطت من جرى الممرض/ خلف صبية دارنا/ وشفيت من حمي دمي/ وأصبت بالكبد الوبائي/ الذي أورثته من حقنة التطعيم.. [٣]

وهنا تبدو الضدية في استخدام المفردات فالربيع يوحي بالازدهار والنماء وهو موسم فرح وسعادة للكثيرين، وبين حال من يكتبون أطفالهم بعد مرور سنوات، إما خوفاً عليهم كونهم مصدر أمان مستقبلي للأسرة أو خوفاً من دفع أموال بسطة لا تتوفر لرب الأسرة،

---

(١) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٨٦.

(٢) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٨٩.

(٣)مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٨٧.

وهو أمر كان شائعاً في معظم القري، كما أن استخدام الشاعر للفظة السنة ولم يستخدم عام ، وما تحمله من إيحاءات بالشدة يعطي دلالة واضحة علي قسوة الحياة .

يقول في قصيدة " ثلاث وعشرون قاطرة"

حين سجنت عرفت الحقيقة في شكلها/ وصاحبت حزني وضعفي وصمتي/ الحياة تملكتها بيدي/ فصاحبت سجني وصرت أعرفه/ السقف لحظة كشف/ وطاقة روح تفتح/ هذا البلاط سريري/ وهذه الحوائط كونى/ الذي ينبغي أن أجاوره بالمجاز.. [١]

ويقول في قصيدة " خراب يملأ العين"

يا أيها المهملون/ وأيتها المهملات/ سنملأ كل البراميل خمراً لنا أجمعين / لنا نحن أهل الخرابات/ والعطفات البعيدة/ والغرف الداخلية/ واللحظات الحميمية/ والنهجات السريع / وعطر الكولونيا الرخيص/ ونفس" الفلالين" / مثقوبة عند سرات أطفالنا..

سنمتلك السينما وأعشاش غاب/ وأسماؤنا الحركية/ ألعابنا الخشبية/ أسلحة صدئات/ تدافع عن حقنا في الحياة/ تؤلف حزباً جديداً تكون مقراته / دورات المياه العمومية.. [٢]

نلاحظ أن هذا الحقل يحوي من المفردات ما يدل علي صفات الإقبال علي الحياة، وقد جاءت المفردات تحمل صيغة المستقبل في إماءة إلي سوء الحاضر(سنملأ- سنمتلك-)

كما يبدو خلو القصائد من مفردة "أمل" وهي المقابل لليأس والإحباط، التي شكلت محور تجربة الشاعر في الديوان وكانت شائعة ولافتة للنظر، ولعل هذه المفردة بحث عنها الشاعر فلم يجدها، وهى تتوالد ضمنياً في سطور التجربة، غير أن المعني الضمني

([١]) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص٦٦.

([٢]) مساكين يعملون في البحر، سابق، ص١٤٨-١٤٩.

لليأس يتوالد كثيراً في التجربة لدرجة التغطية على الأمل (رحيل- شيب -سنوات-نار -كلاب- دمع- ليل- رصاص- سجن-حجر- صخر...)

ومن هنا يظهر هاجس التهميش والقمع الاجتماعي المسيطر علي تجربة الشاعر، حيث جعل الشاعر هذه التجربة تخرج من حيز البيئة المحلية؛ لتفيض بدلائلها علي الحياة، وتدور في شتي اتجاهاتها، حتى يشعر المتلقي بأن تجربة الشاعر تبدأ وتنتهي عند هذه الفكرة.

كما يظهر أن تيمات هذا الحقل في أغلبها تم توظيفها علي لسان الشاعر بصيغ ضمائر المتكلم (أنا- نحن) ومن هنا يمكن تبرير اختفاء الأمل في قصائد الديوان، حيث يبدو زوبان الشاعر في بيئته وانتمائه للبيئة الساحلية ، فجاءت التيمات وصفية للشاعر وللرؤية الحياتية متماهي مع الطبيعة البيئية وعناصرها الجميلة ، كما أن الشاعر عاشق لوطن يأمل أن يعطيه ولو بصيص من الأمل في عيشة آمنه.

يعزز هذا المنحى ما قدمه الشاعر في مفتتح الديوان بقصيدة "يعملون في البحر" من أوصاف للبيئة الساحلية التي نشأ فيها وانتمائه لها، وأوصاف من يعملون فيها، كما أن المفردات الدالة علي الاتساع والبراح المطلق ظاهرة في الديوان(فضاء- ميادين- براح..) توحي بالحرية المفتقدة في الواقع المعيشي، وهو ما يؤكد علي رؤية الشاعر لكونهم مساكين يمتلكون ولا يتحكمون فيما يمتلكون، وهو خطاب متأثر بالموروث الديني، محملاً بدلالات الآية القرآنية التي اشتق الشاعر عنوان مجموعته منها.

وفي هذا الحقل نلمس قيمة الشعر في تهيئة نفس المتلقي للتعامل مع الحياة بأحزانها ومسراتها؛ وحضور القارئ المتذوق للشعر كونه وسيلة فاعلة للتعبير عن الأفكار والمشاعر، حيث جاءت قصائد الديوان ممزوجة بالوجع والألم، بالرغم من التباينات الثقافية والاجتماعية لأنماط متعددة من البشر تعي في نفس المكان، فالفئات التي تعيش

بجوار البحر وترتبط به تختلف ثقافياً عن تلك التي تعيش في الريف أو في الجنوب أو البيئات الصحراوية الجاف، وعلي الرغم من تأثر الشاعر الواضح ببيئته الساحلية إلا أن نصوصه الشعرية جاءت معبرة ليس فقط عن معاناتهم وما يكتنفهم من مصاعب حياتية بل تعدت إلي فئات مجتمعية منتشرة في ربوع المعمورة.

الخاتمة:

جاءت هذه الدراسة لتتعامل مع نصوص الشاعر عبد الرحمن مقلد في ديوانه مساكين يعمون في البحر من زاوية الانتماء متبعة المنهج الموضوعاتي للوصول إلي الفكرة المحورية في الديوان والروح المهيمنة علي إبداع الشاعر، عبر رصد دلائل بلاغية ومعجمية شكلت نسيج النص الشعري

كما حاول البحث من خلال دراسة الثيمات الأساسية في الديوان رصد أهم المحاور التي تحكمت في البني المضمونية في الديوان وقد توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج .

- يمكن أن تندرج المحاور الدلالية في الديوان تحت محورين اثنين: الشاعر وبيئته، فقد ظهر عبر التجميع المعجمي والاحصاء الدلالي للقيم والسمات المهيمنة علي نصوص الشاعر أنه شاعر صاحب هم، خاضع ومتأثر ببيئته، يعيش معها وبها ولها.
- وفرت بيئة الشاعر له رؤية شعرية خاصة عبر محاور متشعبة من مواقف وأحداث حياتية فجرت الطاقات الإبداعية عند الشاعر، فجاءت قصائده محملة بتلك الأحداث والمواقف ومعبرة عنها بصورة يبدو فيها الخوف من الحاضر والقلق المستقبلي.

- جاءت التجربة الشعرية عبر التيمات المشكلة لها كاشفة لحالة الاشتياق للجزور في صـــراع الشـــاعر مع المتغيرات الحياتية والثورات الفكرية المؤثرة في الفئات المختلفة من البيئات الســـاحلية وغيرها فكانت معبرة عن تطلعات تلك البيئات لمستقبل أرحب عبر العودة للبساطة والفطرة.
- تجلت تجربة الشاعر متمحورة حول شاعر متيم بالحرية، يبحث عن عالم يعشقه، متخذاً من طبيعتة الساحلية أداة لهدهدة الروح، ومحاولة للعيش في مجتمع يصارع الممكنات الجمالية لقتلها، عبر القهر والتهميش الاجتماعي.
- يبدو وضوح الجانب الوجداني في التجربة الشعرية لدي الشاعر عبد الرحمن مقلد، حيث يجمع الشاعر بين القديم والحديث ويعمل علي تصوير الحالات المهمشة من المجتمع والمتعرضة للمسكنة والتجاهل الاجتماعي في بحث عن الحق والمساواة.
- جاءت العلاقة بين الشاعر وبيئتة عبر التجليات الشعرية ممزوجة بعدة شوائب من خلال الرؤية المنغلقة والصـــور المتكررة وما يتعلق بها، في محاولة للتحول عن النمطية لتقع فيها عبر عدة نصوص شعرية ؛ متجاهلة التغيرات السريعة والمتلاحقة للواقع المعيشي في البيئات الساحلية .
- يحاول هذا البحث فتح المجال للباحثين لتناول أعمال الكثيرين من الشعراء والأدباء من زاوية من الزوايا المتعددة ، والتي تكشـــف عبر البحث عن جماليات التجارب الفنية وخصوصيتها، فالتجارب الأدبية عموماً والشعرية خاصة معين لا ينضب لدي النقاد تتكشـــف العديد من دلالاتها كلما أقترب منها باحث مدقق يحاول الوصول إلي دلالة مختلفة للنص الأدبي.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر:

(١) عبد الرحمن مقلد، مساكين يعملون في البحر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.

ثانياً: المراجع:

ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، ج١٥، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص٣٤٢.

١- سعيد علوش ، النقد الموضوعاتي، شركة آبل للنشر والتوزيع، الرباط ،ط١ ، ١٩٨٩م،عبد الكريم حسن، نقد المنهج الموضوعي، مجلة الفكر العربي ، بيروت، لبنان، عدد ٤٤، ٤٥.

عبد النبي عبادي، شعر المساكين، مقاربة ثقافية في شعر عبد الرحمن مقلد، دار ميتا بوك للطباعة، ط١، ٢٠٢٢م.

٢- محمد فتوح أحمد ، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف،ط٣، ١٩٨٤م

٣- محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)،

مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، تح : محمد العر قوسي ، ط٨، ٢٠٠٥ص١٢٣٢.

مجد خضر، مفهوم الانتماء، ابريل، ٢٠١٦م، الشبكة العنكبوتية.

محمود سليمان ، الحب والغزل في الشعر السعودي المعاصر ، المجلة العربية. العدد ٥٧ السنة السادسة. أغسطس ١٩٨٢م.

مني محمد عبدالله أبو هملاء، قصيدة الرثاء في الشعر العربي، مجلة البحث العلمي في الآداب ، العدد العشرون ٢٠١٩م جزء ١، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، الملخص.

محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي، دار المعارف، ط١، ١٩٨٨م.

مبارك البراء، الانساق والانسجام في شعر المتنبي، الشبكة العنكبوتية.

نجوي إبراهيم عبد المنعم، بلاغة المزج الضمائري في الشعر الوطني عند الشاعر عبد الرحيم زلط، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات ،جامعة عين شمس،عدد٢٠، جزء ٢، ٢٠١٩يوليو، ص٥٢٣، الشبكة العنكبوتية.

The Tendency to Belonging in “Poor People Working at the Sea” by "Abdul Rahman Muqallid" From Instinct to Semantic Connotation

Abstract:

This research attempts to tackle the poetic texts of Abd al-Rahman Muqallid in his poetry collection titled “Poor People Working at the Sea” through investigating the topic of belonging by relying on a thematic approach. This is mainly aimed to scrutinize the central idea in the collection and to tackle the poetic spirit that dominates the poet’s creativity. This is performed through monitoring observing rhetorical and lexical evidence that formed the fabric of the poetic text in the collection. The research also attempted, through studying the basic themes in the collection, to monitor the most important axes that controlled the content structures in the collection. Through relying on lexical compilation and semantic statistics of the values and characteristics that dominated the poet in the concerned poetic collection, it has been found out that the poet is concerned with a certain issue and that he is influenced by his environment, living with it, by it, and for it.

The poet’s environment provided a special poetic vision through diverse axes of life situations and events, which unleashed the poet’s creative energies. His poems were loaded with these events and situations and expressed in a way that showed fear of the present and anxiety for the future.

Moreover, the poetic experience is revealed through the themes formed for it ،revealing the state of longings for the basics, in the poet’s struggle with life changes and intellectual revolutions affecting the different categories of coastal and other environments. Accordingly, the poetic experience expressed and vividly revealed

aspirations of those environments for a broader future through a return to simplicity and common sense (i.e. instinct).

The poet's experience also revealed that the poet is totally concerned with love of freedom, searching for a world that he loves, using his coastal nature as a tool to soothe the soul, and as an attempt to live in a society that struggles with certain aesthetic possibilities to kill them, through oppression and social marginalization.

Keywords: belonging, Muqallid, poor, sea.